الأدب الفلسطيني في كوريا الجنوبية

فازت الروائية الفلسطينية سحر خليفة بجائزة "لي هو تشول تونغ إيلو" للآداب في نسختها الثانية التي تنظمها بلدية حي أون بيونغ. وقد أقيم حفل توزيع الجوائز في ١٤ أيلول/سبتمبر في منطقة دي إم زي المنزوعة السلاح في مدينة باجو. وفي اليوم التالي عُقدت ندوة أدبية خاصة للأدباء الفائزين بالجائزة في قاعة في حديقة سيول للابتكار.

وألقت الأستاذة الفخرية للأدب العربي في جامعة هانكوك، سونغ كيونغ سوك، كلمة رحبت فيها بنيل خليفة الجائزة، بينما ردت الروائية الفلسطينية الترحيب برسالة وجهت من خلالها تحية إلى سونغ.

وقد انطلقت جائزة "لي هو تشول تونغ إيلو" للآداب في سنة ٢٠١٧ بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة الروائي الكوري الكبير لي هو تشول، وتستهدف التذكير بأعماله الأدبية، مع التركيز على قضية الانفصال بين شطرَي كوريا، والمصاعب التي يعانيها النازحون الكوريون الذين يعيشون منفصلين عن أفراد أسرهم في الشمال.

I

سونغ كيونغ سوك*

الأدب الفلسطيني وأنا، وسحر خليفة

زرت فلسطين لأول مرة في سنة ١٩٨٠ (يؤلمني جداً تسميتها إسرائيل)، للقاء رئيس بلدية الناصرة [توفيق زيّاد] الذي انتخبه أهالي الناصرة باحتفاء شعبي. وكان زيّاد أيضاً شاعراً يتمتع بسمعة طيبة، فقد حُكم عليه بالسجن عدة مرات لنضاله ضد إسرائيل في سبيل تحرير فلسطين، وهناك، في السجن، درس وتعلم اللغة العبرية.

حين عرّفت عن نفسي بأني أستاذة للغة العربية في كوريا، قال زيّاد: "حسناً، أنا أضفت إلى محكوميتي في السجن ٣ أشهر بسبب كوريا." سألت: "وما دخل كوريا كي تضيف إلى محكوميتك في السجن ٣ أشهر بسببها؟" أجاب بأن الشرطة الإسرائيلية اعتقلته بسبب موقفه الرافض لتدخّل القوات الأميركية في كوريا لقتال الكوريين، فشعرت بإحراج وأسف لسماعي ذاك القول.

أنا لست هنا في معرض الحديث عن المعنى السياسي والتاريخي لتدخّل الجيش الأميركي في كوريا في أثناء الحرب الكورية، بل إنني معنية بالتحدث إليكم عن الطريقة التي يجب أن نتصرف بها خلال حياتنا على هذه الأرض كمواطني هذا العالم. أترون، رئيس البلدية الشاعر كان معنياً بواقع هذا البلد الصغير المسمى كوريا، الذي لم يكن معروفاً للعالم في ذلك الوقت، وكان هذا قبل ٦٥ عاماً تقريباً. واليوم، في مناسبة انعقاد جائزة هو تشول تونجيلرو** الأدبية للمرة الثانية، ومنح الجائزة الكبرى للدكتورة سحر خليفة، أعتقد أن في استطاعتي الآن، أخيراً، أن أُبعد مشاعر الأسى عن تفكيري الذي أحسست به تجاه رئيس البلدية الشاعر.

هل تعرفون، أنتم جميعاً، طبيعة الصراع بين إسرائيل وفلسطين؟ لبّ الصراع يتمركز حول ملكية الأرض. فأرض فلسطين بالنسبة إلى اليهود، هي "الأرض التي عشنا فيها في الماضي، الماضي البعيد، البعيد"، لكن بالنسبة إلى الفلسطينيين، هي الأرض التي عاشوا فيها لأجيال وأجيال حتى سنة ١٩٤٨. وما يعقّد المشكلة هو أن هذه الأرض هي المكان الذي انبثقت منه الديانات السماوية الثلاث الرئيسية في هذا العالم، كما أنها "الأرض المقدسة" التي يؤمّها الحجاج من شتى أصقاع الأرض. في سنة ١٩١٧، حين أُعلن وعد بلفور الذي أصبح الحجر الأساس لإقامة دولة إسرائيل، كان ٩٢٪ من أصل

* أستاذة فخرية للأدب العربي في جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية في كوريا الجنوبية.

** هو تشول: كاتب كوري كرّس أدبه لقضية توحيد الكوريتين.
تونجيلرو: تعني الوحدة باللغة الكورية.

٦٥٠,٠٠٠ من مواطني فلسطين عرباً، و٦٪ فقط من السكان كانوا يهوداً. وفي سنة ١٩٢٠، حين عُقد مؤتمر سان ريمو الذي مُنحت بريطانيا بموجبه الحق في انتداب فلسطين، كان ٦٨٠,٠٠٠ من أصل ٧٥٠,٠٠٠ من السكان عرباً. إذاً، دعوني أسألكم: لمَن تعود هذه الأرض؟ ولمَن ستعود؟

لقد أسس الإسرائيليون دولتهم على دماء الفلسطينيين فوق أرضهم فلسطين، فلماذا يصبّون جام غضبهم وإحباطهم على الفلسطينيين الذين لم يرتكبوا أي ذنب بحقهم، متسببين بإحداث مشكلات ما زالت تتراكم عبر الزمن كمشكلة اللاجئين (حتى سنة ٢٠١٢ كان الفلسطينيون يشكلون أكبر مجموعة لاجئين في العالم، والتي تُقدّر بخمسة ملايين لاجىء)، وعمل الفلسطينيين الدؤوب على تحقيق استقلالهم وتقرير مصيرهم، ومشكلة تحديد هوية القدس، ومشكلة المستعمرات، وغير ذلك كثير؟ وإذا لم نستطع حل هذه المشكلات كلها، ولم نتمكن من مسح دموع الفلسطينيين، فإن الشرق الأوسط لن ينعم بسلام حقيقي.

عندما كنت في الخامسة والثلاثين من عمري، ذهبت للدراسة في الخارج، في الجامعة الأردنية، وأول شيء فعلته حين وصلت إلى عمّان هو قيامي بزيارة لأحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين. كان ذلك في خريف ذاك العام. أخذت كاميرتي كما لو كنت ذاهبة لزيارة موقع سياحي شهير، وهناك رأيت وحدات من التجمعات السكنية المتهالكة، مبنية من الطوب الرملي، تتلاصق أسطحها، السطح بجوار السطح. فضلات الإنسان تتراءى على الأرض بسبب نظام الصرف الصحي السيىء. كنت أجول بعينيّ في أنحاء المخيم هنا وهناك حين برز أمامي فجأة مجموعة من الشبان الصغار الذين بدوا غاضبين. قالوا: "أتظنين أن مخيم اللاجئين الفلسطينيين هو حديقة حيوان ليأتي الناس من الخارج لشراء تذاكر للفرجة والاستمتاع؟" وبهذه الكلمات حاولوا انتزاع كاميرتي مني وقذفها في الجو، ولولا تمكنّي من مخاطبتهم والتواصل معهم بالعربية لتطورت الأمور بشكل كبير في ذلك اليوم. لقد ظنوني مراسلة تجمع المعلومات لتغطية ما. فهؤلاء الذين أُخرجوا بالقوة من ديارهم خلال النكبة، وبعد عشرين عاماً تجرعوا هزيمة ١٩٦٧، هؤلاء الذين فقدوا أساس حياتهم التي بنوها بكدّهم، كانوا غاضبين من حقيقة أنه على الرغم من أن الصحافة العالمية، ولعقود، كانت تجمع منهم المعلومات عن واقعهم، فإنهم كانوا يبتعدون أكثر فأكثر عن حلمهم باسترداد بيوتهم وأراضيهم. كانوا غاضبين ومحبطين من واقعهم.

بعد ذلك اليوم، زرت مخيمات اللاجئين المتعددة والمتناثرة في أنحاء الأردن عدة مرات، وتمكنت من أن أصبح صديقتهم. كانوا يحملقون بأسى وهم يتأملون وثائق ملكيتهم لتلك الأرض، ويرزحون تحت وطأة أحلامهم المسحوقة باستعادة بيوتهم التي انتُزعت بالقوة منهم. وبالتعرف إليهم ورؤيتهم عن قرب أخذت أتساءل: "هل يملك هؤلاء اللاجئون أدباً ما؟ وإن كان لديهم، أتكون اللعبة، اللعبة المترفة التي تحدث عنها تي. إس. إليوت؟ كيف ينعكس تاريخ محَنهم الوطنية في أدبهم؟" تلك الأسئلة، بطبيعة الحال، ساقتني إلى قراءة غسان كنفاني (١٩٣٦ – ١٩٧٢)، الممثل الأبرز للسرد الفلسطيني. غسان كنفاني هو الكاتب الذي غيّر تاريخ الرواية

وأخرجها من "عصر الخطابة" إلى عصر الكتابة الإبداعية. مع غسان كنفاني، أصبحت الرواية الفلسطينية فناً، ولم تعد صرخة تحريضية.

ولد غسان كنفاني في سنة ١٩٣٦، في مدينة عكا، شمال فلسطين. كان شاهداً على مذبحة دير ياسين، فهرب من بلده كمعظم الفلسطينيين وهو في الثانية عشرة من عمره. وعن طريق سورية والكويت وصل إلى بيروت حيث أمضى بقية حياته يقاتل الإسرائيليين كناشط سياسي وصحافي حتى سنة ١٩٧٢ حين اغتالته الاستخبارات الإسرائيلية.

أذهبُ في الثامن من تموز/يوليو إلى عكا، مسقط رأس غسان كنفاني، وأتخيل كيف كانت طفولته هناك، وأتأمل في حياته كإنسان، وككاتب، وكمناضل في سبيل التحرر الوطني. وبهذا ركزت على عالم كنفاني الأدبي لمدة تقارب عشرة أعوام. وأخيراً، في سنة ١٩٩٢، أنهيت دراساتي عنه بأطروحة دكتوراه بعنوان: "دراسة عن غسان كنفاني: الانعكاس الأدبي لحركة التحرير الفلسطينية"، والتي كانت أطروحة الدكتوراه الأولى في كوريا عن الأدب العربي. وقد كنت محظوظة لدراستي غسان كنفاني، إذ من خلال أدبه عرفت أن الأدب الفلسطيني لم يكن "صرخة تحريضية" فحسب، بل "فناً" أيضاً، وهذا ما جعلني أستمر في محبتي للشعب الفلسطيني.

تمكنت من الالتقاء بالعديد من الكتّاب الفلسطينيين ودراسة أدبهم وعقد صداقات معهم، بمَن فيهم: إميل حبيبي (١٩٢١ – ١٩٩٦)؛ توفيق زيّاد (١٩٣٢ – ١٩٩٤)؛ فدوى طوقان (١٩١٧ – ٢٠٠٣)؛ محمود درويش (١٩٤١ – ٢٠٠٨)؛ سميح القاسم (١٩٣٩ – ١٩١٤). لكني أفتقد لقاءاتي بالشاعر الكبير محمود درويش، والتي كانت درامية وشاعرية، وأحن إلى تلك الأيام التي ترجمت ونشرت فيها ديوانه "عاشق من فلسطين".

نحن الآن في يوم سحر خليفة، أليس كذلك؟ سأبدأ الكلام على رحلتي معها من خلال التحدث عنها، عن سحر التي نحب ونحترم.

تاريخياً، عند التطرق إلى الكتّاب الذين تبوّؤوا السرد الفلسطيني، نجد جبرا إبراهيم جبرا، وإميل حبيبي، وغسان كنفاني، وأيضاً سحر خليفة التي التحقت بهم. هي ليست الكاتبة التي تمثل أدب المرأة الفلسطينية فحسب، بل إنها أستاذة في السرد الأدبي أيضاً، وهي ليست كاتبة مشهورة فحسب، بل إنها كذلك واحدة من أهم الكتّاب المعروفين في الأدب العربي، وحائزة جائزة نجيب محفوظ الأدبية في سنة ٢٠٠٦ عن روايتها "صورة وأيقونة وعهد قديم" (٢٠٠٢) التأملية، والتي تتناول فيها الديانات السماوية الثلاث الرئيسية: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وتتخذ من القدس مسرحاً لأحداثها. لقد تُرجمت الرواية إلى عدة لغات في أكثر من ٢٠ بلداً، والملاحظ أنها لاقت رواجاً شعبياً في ألمانيا، وكسبت العديد من المعجبين، حتى إن الصحافة الألمانية لقّبتها بـ "فرجينيا وولف الأدب الفلسطيني"، واعتبرتها "الصوت الذي يمثل الأدب العربي." لكني لا أتفق مع ذاك اللقب، لأنها تفوقت على فرجينيا وولف. فوولف تناولت المشكلة النسوية فقط، بينما صديقتي التي أفتخر بها كثيراً تغوص في مشكلات تحرير المرأة، فضلاً عن تناولها مشكلات واقع وطنها وتاريخه.

عالم سحر خليفة الروائي يرتكز على محورين: في روايتها الأولى "لم نعد جواري لكم" (١٩٧٤) تتناول حيوات نساء بلا حلول ومنافذ، فهنّ يشكّلن ضحايا المجتمع الأبوي الإسلامي. الوعي النسوي في الرواية شكّل صدمة وخلق موجة من ردات الفعل الإيجابية. لكن نجاحها الأدبي الحقيقي بدأ مع نشرها رواية "الصبّار" في سنة ١٩٧٦. الرواية هي سجل لحياة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال بعد هزيمة العرب في حرب الأيام الستة، وتفحّص لمرحلة الثورية الرومانسية التي عاشها الفلسطينيون بعد انتزاع أراضيهم منهم. وما أعنيه "بالرومانسية" هنا، أن شخصيات الرواية كانوا يعتقدون اعتقاداً رومانسياً راسخاً، بأنهم سيتحررون لا محالة، وأن العدالة ستتحقق، وأن تحررهم بات قريباً.

في "عبّاد الشمس" (١٩٨٠) نرى تدرّج الأحداث من خلال شخصيات كانت قد ساهمت في الثورة، ثم فقدت أحلامها الرومانسية بالتحرير حين اصطدمت الثورة بواقعهم. في هذه الرواية نلتقي بعدد من الشخصيات النسائية التي تساهم في حركة التحرر الوطني. "الصبّار" ركزت على مضامين ما بعد الفترة الكولونيالية، وفي "عبّاد الشمس" نجد أن الثيمة الأساسية هي ثيمة التحرر النسوي. نستطيع قراءة كل رواية كعمل أدبي مستقل على انفراد، مع أن الكاتبة تعلن بوضوح في نهاية "عبّاد الشمس" أن الروايتين متسلسلتان. وهذا يكشف عمق وعي الكاتبة ـ بعكس الكتّاب الذكور الناشطين في حركة التحرر الوطني الذين يعتقدون أن التحرر الوطني يجب أن يأتي أولاً، ثم يليه التحرر النسوي. سحر خليفة تقول إن التحرر الوطني والتحرر النسوي يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب، في الوقت نفسه، لأن الجانبَين يمتلكان الأهمية نفسها، من أجل تحرير فلسطين.

في "مذكرات امرأة غير واقعية" (١٩٨٦) تركز الكاتبة على بطلة واحدة، وتتابع حياتها من الطفولة حتى الشباب، فتصف كيف تصبح هذه المرأة ملأى بالخوف واحتقار الذات، والإحباط، والإحساس بالدونية. في "باب الساحة" (١٩٩٠) يتعمق الوعي بشأن التجربة النسوية، فجميع الشخصيات الذكورية تبدو غائبة أو عاجزة، بينما النساء، وخصوصاً من الطبقات الدنيا، يتبوأن أدواراً قيادية في النضال للتحرر الوطني. هذه الرواية تبرز لنا أن النساء لسن نكرات، بل إن كل واحدة منهن تتمتع بقلب وعقل، وهنّ يشكلن ضمير الثورة.

بعد ترجمة "الصبّار" إلى اللغة الكورية (٢٠٠٦)، صدرت "الميراث" (٢٠٠٧) التي تُرجمت وصدرت بنسختها الكورية في سنة ٢٠٠٩، وهي الرواية التي تعكس واقع الفلسطينيين الذين كان هدفهم تحقيق التحرر الوطني، وإذا به، بعد اتفاق أوسلو، يصبح سراباً. فهم ما زالوا يرزحون تحت الاحتلال، وتحت قيادة عاجزة فاسدة، ويعانون، بعد أن فقدوا الأمل والإيمان بالثورة.

حتى الآن تعرّفنا إلى مضامين روايات سحر خليفة، لكن علينا أن نتعرف إلى أدبها وأسلوبها في الكتابة من خلال منظورها النسوي. فهي اجترحت مستوى جديداً من اللغة الأدبية باستخدامها العامية المحكية في رواياتها، وهي في الأساس لغة نسائية، بدلاً من استخدام اللغة المعهودة، أي اللغة المكتوبة الرسمية. لهذا وُوجهت بانتقادات وأحياناً بصعوبة في النشر. ومع ذلك، في استطاعتنا القول إنها نجحت في جعل اللغة

اليومية والعامية المحكية، ردة فعل معاكسة للغة الرسمية المكتوبة، ونعني بها اللغة الذكورية. استطاعت أن تخطّ أسلوباً شمولياً متجانساً للكتابة السردية، وأنا كأكاديمية متخصصة بالأدب، أقرّ بأن أدب سحر خليفة قد يساعد الأدب الفلسطيني على التقدم إلى الأمام نحو عالم أكبر وأوسع، بعيداً عن الأدب الوطني الذي يتسم بضيق الأفق والإطار الأحادي.

أخيراً، أريد أن أضيف شيئاً. سمعت أن لي هو تشول كان يكرر في أثناء حياته أن الكاتب يستطيع الكتابة فقط في أثناء حياته.

سحر خليفة حصلت على الدكتوراه في سنة ١٩٨٨ من جامعة أيوا في أميركا، في الدراسات النسوية وأدب المرأة الأميركية، وعندما رجعت إلى فلسطين، بادرت إلى تأسيس مركز شؤون المرأة حيث عملت على المساهمة في تطوير حياة النساء الفلسطينيات. أدبها وحياتها لا يفترقان، هما واحد.

رحّبوا معي بسحر خليفة.

شكراً جزيلاً.

II

سحر خليفة*

صديقتي الجميلة كورية

تعانقنا تحت مظلتها وأنا أهتف بقلب محزون: حبيبتي، حبيبتي! ودموع شفافة في عينيّ وعينَيها، والشجر يموج ويترنح تحت الزخات، وأنا أقبّل وجنتها، ثم الأُخرى، ثم الأُخرى، وأنظر في عمق عينيها ولا أقول "إلى اللقاء" لأني أعرف ألاّ لقاء بعد الآن إلاّ بكلمات مختزلة نتبادلها عبر الإيميل. وحين عدت إلى مقعدي في السيارة لتأخذني بعيداً عنها انهرت تماماً وتناثرت، وذرفت دموعاً ساخنة وأنا أذكر صوراً ومشاهد سابقة كنا فيها أقوى وأصغر، وربما أجمل، وطبعاً أصلب. كنا نتبادل كلمات الوداع بلا حرقة وغصة في القلب، إذ كنت أعود إلى بلدي بقلب مفتوح وأمل بالغد، وهي تظل في واقعها المترع بالوعد.

لكن الآن، وهذا الوداع، كما لو أن الدنيا تتناثر وتنهي المشوار. فأنا وهي في أواخر السبعينيات: الماضي المفعم بالطموح والإنجاز بات بعيداً، في الخلفية، والأمل السابق والإشراق بات سراباً. أنا أعود إلى وطني الأكبر، وطني المنكوب، والمحروق، والمدمر: سورية وحرب كونية؛ فلسطين تُمزق للمرة الألف؛ اليمن الدامي والأورام في

* روائية فلسطينية.

السعودية؛ نظام عربي يتهاوى ومعه الإنسان، وفوق هذا وذاك، إسلام سياسي كالسرطان ينخر فينا، يتآكلنا، ويعود بنا إلى عصر حجري، فأين الأمل؟

هذا أنا، أمّا هي، صديقتي الجميلة الكورية، وقد باتت الآن مثلي أنا، متقاعدة، بلا طموح إلاّ بحياة بلا أمراض الشيخوخة، وهرب من بلد يتضور بغلاء العيش، فتهرب إلى ساحات وملاعب في بلد آخر أقل ثراء وتكلفة، تلعب الغولف وتتسلى بمرور الوقت، بلا طموح إلى إنجاز يرفعها إلى منصب آخر، أعلى وأرفع، فزمن الشباب والركض السريع لإثبات الذات انتهى، وهي وصلت، وحققت الكثير فيما مضى. لكن الآن، هدوء ومراعاة للصحة، وزوج أليف متقاعد، وغولف وحياة رائقة في بلد مريح أقل ثراء، غير أنه أبعد.

لم أكن أعرف أن فراق الصديقة كقصص الحب المنتهية، مثلها في الوجع ونزيف القلب. لم أكن أعرف أن هذا الإحساس ممكن فعلاً. أهو الإحساس بمرور الشباب؟ أهو الإحساس بأن القادم ما عاد غنياً وجميلاً مثل السابق يقطر بالوعد؟ أهو الإحساس بأن واقعنا المتحفز فيما مضى بات خريفاً، وأن المشوار وصل إلى الحافة بمرور الوقت؟

أنا وهي، كيف التقينا وجمعتنا لغة الأرواح؟ هي كورية، من بلد مجروح ومقسّم إلى شمال وجنوب، وتاريخ الحرب الكورية، وبقايا الحرب الباردة بين الأقطاب تخيم في الجو، لكن كوريا الجديدة تشرق بالوعد. ومع هذا، حين زارت بلدي الحزين لأول مرة، واكتشفت جراحاً نازفة، شعرت فوراً بأن هذا النزيف كذاك النزيف، وأن الجرح كذاك الجرح، فجراح الشعوب واحدة مهما تختلف سمة الأجواء.

كانت في الثلاثين من عمرها حين زارت مخيم لاجئي بلدي المهزوم في بقعة حزينة من الأردن، تحمل كاميرا، وتسجل انطباعات ومشاعر حين أوقفها شباب صغار وصاحوا فيها: "هل تظنين أن مخيمنا حديقة حيوان، وأن للناس من الخارج الحق في أن يأتوا لشراء تذاكر للفرجة والاستمتاع؟" وحاولوا خطف كاميرتها وقذفها في الجو لولا تمكّنها من مخاطبتهم بالعربية، وتهدئتهم، وإلاّ لتعرضت لحادث مؤلم في ذاك اليوم.

تصف صديقتي تفهّمها وتعاطفها مع هؤلاء الشباب وذاك الموقف. كانت قد رأت بعينيها واقعهم المزري في مخيم يفتقر إلى أبسط مظاهر الحياة المعقولة، والمقبولة، لأي إنسان. فقر وذل وإهانات، بلا كرامة لتجمعات بشرية تغرق في الوحل والقذارة، محشورة في بيوت من الطوب يتلاصق فيها الجدار بالجدار، وقنوات مكشوفة تتجمع فيها الأوساخ وفضلات الإنسان والحيوان على حد سواء، بعد أن خسروا بيوتهم في وطن حر كان نظيفاً، في أول حرب (١٩٤٨) وثاني حرب (١٩٦٧)، لمحتلين جاؤوا من الغرب ليبنوا فوق أراضيهم ومزارعهم ما يسمى دولة إسرائيل. هذا ما تقوله صديقتي بالكلمة وبالحرف، إذ يعزّ عليها أن تسمّي فلسطين باسم غريب مستورد، أي إسرائيل، وتظل تردد وتفسر بلغة الأرقام أن نسبة مَن جاؤوا كمحتلين، أي اليهود، حين أُعلن وعد بلفور، هي ٦٪، بينما كانت نسبة العرب ٩٢٪. وأنه في سنة ١٩٢٠، حين عُقد مؤتمر سان ريمو الذي مُنحت بريطانيا بموجبه الحق في انتداب فلسطين، كان عدد العرب ٦٨٠,٠٠٠ من السكان الأصليين من أصل ٧٥٠,٠٠٠. ثم تسأل مواطنيها، مَن تكتب لهم: "بعد هذه

النسب والأرقام أنا أسألكم: لمَن هذه الأرض، لمَن تعود، ولمَن ستعود؟ أنا أسألكم."

بهذه النفسية، وهذا التفهم والالتزام تتبنّى الإنسانة الذكية، الأكاديمية الفخرية، صديقتي الكورية الجميلة، مواجع قضيتنا، تتبنّاها بعواطفها، وبلغة العقل والتحليل والأرقام والوثائق، تتبنّاها كواحدة منا. وتقول ضاحكة حين نسأل أو نتساءل عن هذا الفهم والعواطف، تقول بمزاح: "ربما خُلقت في زمن ما، في زمن سابق، فلسطينية، ثم ما بعد كورية." هذا ما تقول، فكيف لي أن أنساها وقد منحتني أنا، ومنحت شعبي، هذا العطاء والالتزام الكلي بقضايانا؟ منحت شعبي وأدب شعبي، أدب النكبة، بل النكبات، حق الدخول إلى بلدها من أوسع باب، وأجمل باب، باب الأدب والشعر والصداقة، صداقة الفكر والروح والمشاعر! فكيف أفارقها من غير دموع؟!

صداقة صديقتي لم تكن لي أنا، لي شخصياً، ولا لي وحدي. فلو لم أكن كاتبة فلسطينية، ولو لم أكن امتداداً لكل هؤلاء، مَن سبقوني، ومَن عرفتهم، وصادقتهم، وكتبت عنهم، ودرستهم، ودرّستهم، لما تبنّتني شخصياً، وتبنّت فكري وإنتاجي وترجمته وحاضرت عنه ودرّسته، كما درست ودرّست إنتاج مَن سبقوني: جبرا إبراهيم جبرا، وإميل حبيبي، وفدوى طوقان، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وغسان كنفاني قبل الجميع. فقد ظلت لعشرة أعوام، تلاحق إنتاج كنفاني، وتدرس جميع أعماله، من أصغر قصة قصيرة إلى آخر رواية طويلة كتبها قبل استشهاده، وعنه كتبت أطروحتها للدكتوراه، وكانت هي، صديقتي الجميلة الكورية، أول مَن قدّم أطروحة عن كاتب عربي في كوريا. بل كانت هي أول مَن أدخل اللغة العربية إلى بلدها بشكل أكاديمي ممنهج، إذ أدخلت أدبنا ولغتنا إلى جامعتها المرموقة، جامعة هانكوك، وأنشأت دائرة خاصة بدراسة العربية وآدابها. وعلى مر الأعوام أنجبت العديد من الطلبة المتخصصين بهذا الميدان، شباناً وشابات، بالعشرات. وإذا قُدّر لك أن تزور كوريا فسيرافقك كمترجم أو مترجمة، على الأغلب، أحد طلاب صديقتي الجميلة الذكية، ذات الإحساس، والفهم، والضمير. فهي بلا شك، على الرغم من ذكائها الفذ المتوقد، حساسة جداً ورقيقة، وتبكي بدموع سخية حين تفارق أو حين تحنّ. فكيف لا أبكي أنا وأحنّ إلى مخلوقة جميلة من هذا النوع!

حبيبتي سونغ كيونغ سوك، ربما خُلقتِ في زمن ما، قبل الآن، فلسطينية، وربما لم تكوني إلاّ كورية على مر العصور بكل الأزمان، ومع هذا، فأنت صديقتي إلى الأبد، وصديقة شعبي وأحزانه، وأحزاني، حتى لو كنتِ من أي عرق أو دين أو قومية، أنت صديقتي إلى الأبد، يا صديقتي الجميلة الكورية. ■